

## المُسْلِمُ مَعَ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ

يُجِبُّهُمْ فِي اللَّهِ:

إن من أبرز صفات المسلم الصادق حُبُّه لإخوانه وأصدقائه حُبًّا سامياً، مجرداً عن كل منفعة، بريئاً من أي غرض، نقيّاً من كل شائبة، إنه الحبُّ الأخويُّ الصادق، الذي استمدَّ صفاءه وشفافيته من مشكاة الوحي وهُدْيِ النبوة، فكان نسيجَ وَجْدِهِ في العلاقات البشرية، وكانت آثاره في سلوك الإنسان المسلم فريدة في تاريخ المعاملات.

ذلك أن الرابطة التي تربط المسلم بأخيه مهما كان جنسه ولونه ولغته، هي رابطة الإيمان بالله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وأخوةُ الإيمان أوثقُ روابطِ النفوس، وأمتنُ عُرَى القلوب، وأسمى صِلات العقول والأرواح.

فلا عجب أن تثمر تلك الأخوة الفريدة نَمَطاً من الحب عجيبيّاً في سُمُوهِ ونَقَائِهِ وَعُمُقِهِ وَدَيْمُومِيَتِهِ، يسميه الإسلامُ الحبَّ في الله، ويجد المسلمُ الصادق فيه حلاوة الإيمان.

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) متفق عليه.

## مَقَامُ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ :

ولقد جاءت الأحاديث الشريفة تترى، ترفع من مقام المتحابين في الله، وتصور منزلتهم العالية التي أعدها الله لهم في جنته، والشرف الرفيع الذي يسبغه الله عليهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

من هذه الأحاديث حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهم :

«إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقالت: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»<sup>(١)</sup>.

فهذا نص صريح يسلك المتحابين في الله في زمرة السبعة المصطفين الأخيار، الذين أظلمهم الله في ظله، وشملهم برحمته وبره، وفي ذلك تكريم لهم أي تكريم!

وحسب المتحابين في الله شرفاً أن رب العزة يحفل بهم في ساحة الحشر يوم القيامة، فيقول:

أَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»<sup>(٢)</sup>.

فما أرفعه من شرف! وما أوفاه من جزاء! يلقاه المتحابون الصادقون في الله، يوم الشدة والهول والكرب الشديد.

ذلك أن الحب في الله، لا لشيء آخر في هذه الحياة الحافلة بالمطامع

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

والمنافع والشهوات مُرتقىً صعب، لا يستطيع بلوغه إلا مَنْ صَفَتْ نفوسُهُمْ، وَسَمَتْ أرواحُهُمْ، وهانت عليهم الدنيا بجانب مرضاة الله، فلا غرو أن يعدَّ الله لهؤلاء من المكانة والنعيم ما يليق بسموهم في الدنيا وارتفاعهم على شواغلها وحطامها، نجد ذلك فيما رواه معاذ عن النبي ﷺ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ، يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»<sup>(١)</sup>.

بل لا غرو أن يَحْبُوَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُتَحَابِّينَ فِيهِ مَا هُوَ أَجَلٌ وَأَسْمَى مِنْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةِ وَذَلِكَ النِّعِيمِ، يَحْبُوهُمْ حَبُّ الْعَالِي، الَّذِي تَتَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَعْنَاقُ، وَتَنْتَهِي عِنْدَهُ مَعْسُولَاتُ الْأَمَانِيِّ، وَذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكَاً<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخَاهُ لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا»<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْبَبَكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»<sup>(٤)</sup>.

فما أعظمه من حب، يرفع الإنسان إلى الدرجة التي يحبه الله فيها ويرضى عنه!

ويسمو التوجيه النبويُّ صُعداً بالمسلم في هذا المُرتقى العالي الوضيء، إذ يقرر أن أفضل الأخوين المتحابين في الله مَنْ كَانَ أَشَدَّ حُبًّا لِأَخِيهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أي على طريقه.

(٣) أي تقوم بها.

(٤) رواه مسلم.

«ما تحابَّ الرَّجُلَانِ إِلَّا كَانَ أَحْفَظَهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ» (١).

بل إنه ليذهب إلى أبعد من ذلك في إشاعة المحبة في المجتمع المسلم الراشد، فيطلب من المسلم إذا أحبَّ أخاه أن يخبره بأنه يحبه، وفي ذلك يقول النبي ﷺ:

«إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ» (٢).

لقد كان الرسول الكريم صلوات الله عليه يدرك ما لهذا الحبِّ النقيِّ القويِّ من أثر في بناء المجتمعات والأمم، فكان لا يدع مناسبة تمرَّ إلا ويدعو المسلمين إلى التحابب، ويأمرهم أن يعلنوا عن هذا التحابب، لتنتفح مغاليقُ القلوب، وتشيَّع المودَّة والصفاء بين الصفوف.

فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ، فمر به رجل، فقال: يا رسول الله، إني لأُحِبُّ هذا، فقال له النبي ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قال: لا، قال: «أَعْلَمُهُ»، فَلَحِقَهُ فقال: إني لأُحِبُّكَ في الله، فقال: أَحَبَّكَ اللهُ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ» (٣).

وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك بنفسه، معلماً المسلمين كيف يبنون مجتمع المحبة والتوادِّ والتآخي، وذلك حينما أخذ بيد معاذ وقال: «يا معاذُ، واللَّهِ إني لأُحِبُّكَ، ثم أوصيك يا معاذُ: لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» (٤).

وقد انطلق معاذ ينشر شذى هذا الحبِّ الطاهر بين المسلمين في ديار

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح.

(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٤) رواه أحمد بإسناد صحيح.

الإسلام، فيحدثهم بما سمع من رسول الله ﷺ عما أعدّه الله للمتحابين فيه من ثواب جزل، ومحبة منه أكبر؛ فقد روى الإمام مالك في موطنه بإسناده الصحيح عن أبي إدريس الخولاني قال: «دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فِتْيٌ بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا<sup>(١)</sup>، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ هَجَرْتُ<sup>(٢)</sup> فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَاَنْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَجِبُكَ، فَقَالَ: أَللَّهُ؟ فَقُلْتُ: أَللَّهُ، فَقَالَ: أَللَّهُ؟ فَقُلْتُ أَللَّهُ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةٍ رِدَائِي، فَجَذَبَنِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَجِبْتُ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

### تَأْيِيرُ الْحُبِّ فِي اللَّهِ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ:

ويؤكد الرسول الكريم في حديث آخر أن هذه المحبة بين المؤمنين شرط من شروط الإيمان الذي يدخل صاحبه الجنة، وذلك فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْكَكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

لقد أدرك النبي الكريم بثاقب نظرته التربوية التي استقاهها من تأديب الله إياه، أنه لا يستل سخائم الحقد من الصدور، ولا يتنزح أدران التنافس والحسد من النفوس، إلا أخوة صادقة عالية، تسود حياة المسلمين، وتقوم

(١) أي أبيض الثغر حسن المسم.

(٢) أي بكرت.

(٣) رواه مسلم.

على المحبة، والتواد، والتناصح، والألفة، والبشر، ويتنفي منها الكيد والغل والحسد والتجهّم والتباغض، ولذلك دعا إلى إفشاء السلام بين الإخوة، ليكون مفتاح القلوب للمحبة والتلاقي على الخير.

وكان صلوات الله عليه يكرر هذا المعنى على مسامع أصحابه، متوخياً إلقاء بذرة المحبة في القلوب، وتعهّدها بالرعاية، حتى تثمر ذلك الحبّ الوضيء الكبير الذي أراه الإسلام للمسلمين.

بهذه المحبة الناصعة بنى رسول الله ﷺ جيل الإسلام الأول الذي بلغ رسالة السماء إلى الأرض، وكان القاعدة الصلبة التي حملت صرح الإسلام الشامخ للناس.

ويدون هذه المحبة الصافية التي تفرّد بزرعها الإسلام في القلوب، ما كان المسلمون الأوائل ليستطيعوا التماسك والصدور في تحمّل تبعات الجهاد، وتقديم التضحيات الجسيمة في بناء دولة الإسلام ونشر أعلامه في الخافقين.

وبهذه المحبة الصادقة العجيبة استطاع رسول الله ﷺ أن ينشئ مجتمعا المؤمنين الأمل في تاريخ الإنسانية، الذي صور تماسكه العجيب أروع تصوير بقوله:

«المؤمنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»<sup>(١)</sup>.

وبقوله أيضاً:

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ويقوله أيضاً:

«المُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَّتْ عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ»<sup>(١)</sup>.

إن المسلم الواعي الصادق لا يسعه أمام هذا الهدي النبوي العالي إلا أن يخفق قلبه بحب إخوانه وأخلائه، ويقبل عليهم بقلبه ومشاعره، فإذا هو عنصرٌ خير ووثام وبناء في دنياه، والفائزُ برضوان ربه ومحبة في آخره.

لَا يُقَاطِعُ إِخْوَانَهُ وَلَا يَهْجُرُهُمْ:

والمسلم الحق الواعي أحكام دينه يعلم أن الإسلام الذي دعا إلى المحبة والتواصل والتعاطف، هو هو الذي حرم التباعد والقطيعة والهجر، وبين أن المتحابين الصادقين لا تفرق بينهما الهنأت العارضات؛ ذلك أن عروة الحب في الله أوثق من أن تنفصم من أول ذنب يقترفه أحدهما، فقد قال الرسول ﷺ: «ما توادَّ اثنان في الله جَلَّ وَعَزَّ، أَوْ فِي الْإِسْلَامِ، فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا أَوْلُ ذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا»<sup>(٢)</sup>.

على أن الإسلام لم يُغَيِّلْ طبيعة النفس البشرية، وأنها عرضة لِنزوات الغضب وتقلبات العاطفة في لحظات الضعف، فوضع حداً للمدة التي يمكن أن تُفْشَأَ فيها نارُ الغضب، وَيَخْمَدُ أَوَارُ الْانْفِعَالِ، وَحَرَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُتَنَازِعِينَ أَنْ تَمْضِيَ هَذِهِ الْمُدَّةُ، وَلَا يَسَارِعَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا لِلصَّلَاحِ وَالتَّصَافِي وَالْوَثَامِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ:

«لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرَضُ هَذَا، وَيُعْرَضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٣) متفق عليه.

والمسلم الصادق المرهف الذي يتأمل هذا النص الثابت، لا يصبر على هجرة أخيه ومخاصمته مهما تكن الأسباب، بل يسارع إلى مصافاته والتسليم عليه، لأن خيرهما الذي يبدأ بالسلام، فإن ردّ عليه السلام اشترك الاثنان في أجر المصالحة، وإن لم يردّ عليه، فقد برىء المسلم من إثم القطيعة والهجر، وباء الممتنع عن ردّ السلام وحده بالإثم، وهذا ما يوضحه حديث أبي هريرة القائل: سمعتُ النبي ﷺ يقول:

«لَا يَجِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجَرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَإِذَا مَرَّتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَلْيَلْفَهُ فَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدْ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَرِيَءَ الْمُسْلِمُ مِنَ الْهَجْرَةِ (١)» (٢).

وكلما زادت مدة المصارمة والهجر زاد الإثم وكبرت الخطيئة واشتد الوعيد للمتصارمين المتنازعين؛ فقد قال النبي ﷺ:

«مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفَكَ دَمِيهِ» (٣).

إن منهج الإسلام في تربية النفوس قائم على التحابب والتقارب والتآلف، ومن هنا لا تباغض ولا تحاسد ولا تدابر في حياة المسلم الصادق، وكيف يكون في حياته شيء من هذه الخلائق الوضيعة، وصوت النبوة يسكب في سمعه أروع منهج للأخلاق عرفته البشرية منذ أن كان إنسان على ظهر الأرض بقوله:

«لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ» (٤).

(١) أي من إثم الهجرة.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٤) رواه مسلم.

ويقوله :

«إِسَاكُمُ وَالظَّنُّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا»<sup>(١)</sup>،  
وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا  
عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»<sup>(٢)</sup>.

ويقوله :

«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا»<sup>(٣)</sup>، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِغْ  
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ،  
لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى  
المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»<sup>(٤)</sup>.

إن المسلم الذي يتأمل هذا الهدي النبوي العالي، الحاوي على مكارم  
الأخلاق كلها من حب وتعاطف وتآخ، لا يقيم على شحناء، إلا إذا كان في  
قلبه مرض، وفي طبعه جفوة، وفي فطرته التواء.

ومن هنا جاء الوعيد شديداً لأولئك القساء الغلاظ، الملتوين عن جادة  
الإسلام الخلقية، المحجوبين عن بشاشته وسماحته، بإصرارهم على الهجر،  
يهددهم في آخرتهم، فيحجب عنهم رحمة الله ومغفرته، ويغلق دونهم أبواب  
الجنة، وذلك في قول الرسول ﷺ :

«تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ  
بِاللَّهِ شَيْئاً، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى

(١) أي لا تبحنوا عن عيوب ولا تتبعوها.

(٢) متفق عليه.

(٣) التناجش: أن يزيد المرء في السلعة ولا رغبة له في شرائها بل ليغتر غيره في شرائها.

(٤) رواه مسلم.

يَضْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَضْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَضْطَلِحَا»<sup>(١)</sup>.

وكان الصحابي الجليل أبو الدرداء يقول: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّيَامِ؟ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ. أَلَا وَإِنَّ الْبِغْضَةَ هِيَ الْحَالِقَةُ»<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

إنها لنظرة نافذة عميقة لروح هذا الدين القائم على التآخي والمحبة، من هذا الصحابي الجليل الذي كان موضع ثقة الرسول الكريم في حسن تفكيره ونفاذ بصيرته، إذ رأى التباغض يحبط العمل، ويُضيع الأجر، ويمحق الحسنات، ومن هنا كان صلاح ذات البين للمسلم المقاطع أخاه خيراً له من الصدقة والصيام، إذ أن بقاءه على القطيعة والهجر والتباغض يودي بما يجنيه من عباداته من حسنات.

ولقد أخذ الصحابي أبو الدرداء حديثه هذا من هذي الرسول ﷺ الذي رواه الترمذي عنه أيضاً: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ». قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح. وَيُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ». سَمَّحَ عَفْوٌ عَنْهُمْ:

والمسلم الحق إذا مسه الغيظ من أخيه كظم غيظه، ثم هو لا يأنف أن يسارع إلى العفو عنه، والتغاضي عن زلته، ولا يرى في صفحه عن أخيه ذللاً يَحِقُّ به، ولا عاراً يلبسه، بل يرى فيه إحساناً يقرّبه من الله زُلْفَى، ويكسبه محبته التي خصّ بها المحسنين من عباده في قوله:

(١) رواه مسلم.

(٢) أي الماحية للثواب.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْأَمْفِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إن الإنسان قد يكظم غيظه، ولكن مراجل الحقد والضغينة تفور في صدره، فيتحول غيظه الفائر إلى إحنة متأججة، ويستحيل غضبه الظاهر إلى حقد دفين. والغضب والغيظ أظهُرُ وأنظف من الحقد والضغينة.

أما المسلم الحق الذي أُشْرِبَتْ نفسه هَدْيَ هذا الدين فلا يحقد ولا يظطن، إنه إن كظم غيظه، أتبع ذلك بالصفح والعفو، وكان من المحسنين.

إن الغيظِ وَقُرُّ ثَقِيلٌ عَلَى النَّفْسِ حِينَ تَكْظِمُهُ، وَشَوَاطِظُ يَلْفَحُ الْقَلْبَ وَدُخَانَ. أما حين تَصْفَحُ النَّفْسَ، وَيَعْفُو الْقَلْبَ، فَهُوَ الْإِنْطِلَاقُ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْرِ وَالرَّفْرَفَةُ فِي آفَاقِ النُّورِ، وَالْبَرْدُ عَلَى الْقَلْبِ، وَالسَّلَامُ فِي الضَّمِيرِ، وَهَذَا هُوَ الشُّعُورُ بِالْإِحْسَانِ، يَحْسَهُ الْمُسْلِمُ، وَهُوَ يَصْفَحُ وَيَعْفُو عَنْ أَخِيهِ.

والمسلم الحق في إقباله على أخيه صفوحاً عفواً، إنما يتواضع لأخيه ويعفو عنه لله، مبتغياً من لده العزة والرفعة التي أُلْمِعَ إليهما رسول الله ﷺ في قوله:

« مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »<sup>(٢)</sup>.

وإنهما لِعِزَّةٌ وَرَفَعَةٌ مِنَ اللَّهِ، يَجْتَمِعَانِ إِلَى الْإِحْسَانِ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ الْمُسْلِمُ السَّمْحَ الْعَفْوَ الصَّفُوحَ، فَإِذَا هُوَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِي أَحْبَبَهُمُ اللَّهُ، وَمِنَ الْأَعْزَةِ الْأَمْثَلِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ النَّاسُ.

إن الحقد لا مكانَ له في قلب المسلم المرهف الحس، الواعي توجيهات دينه، المتأثر بلمساتها في أعماق وجدانه؛ ذلك أنه يدرك قيمة

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) رواه مسلم.

العفو وصفاء القلب في مغفرة الله له، كما بينها رسول الله ﷺ بقوله:  
«ثَلَاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ غُفْرٌ لَهُ مَا سِوَاهُ لَمْ يَشَأْ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ  
شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنْ سَاحِرًا يَتَّبِعُ السَّحْرَةَ، وَلَمْ يَخْضِ عَلَى أَخِيهِ»<sup>(١)</sup>.

يَلْقَاهُمْ بِوَجْهِ طَلِيقٍ:

وإنه لحريٌّ بالمسلم بعد هذا كله أن يكون نقيَّ السريرة، صافي القلب،  
بشَّ الوجه، طلق المحيَّا، مفرِّئ الأسارير، لا يلقي إخوانه إلا متهللاً مبتسماً  
كما أراد رسول الله ﷺ بقوله:

«لَا تَخْفِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ»<sup>(٢)</sup>.

فبشاشة الوجه خليقة حسنة حضَّ عليها الإسلام، وجعلها من الأعمال  
الصالحات التي تكسب صاحبها المثوبة والأجر؛ لأن الوجه الطليق الصافي  
مرآة القلب النظيف الصافي، وهذا الصفاء في المظهر والمخبر من خلائق  
الإسلام الجليلة في المسلمين الصادقين.

ومن هنا كان من هذي الرسول الكريم:

«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

وكان الرسول ﷺ يَبْسُ دوماً في وجوه أصحابه، فما يكاد يقع بصره  
على أحد منهم إلا تبسم له، يشهد لذلك الحديث الذي رواه الشيخان عن  
الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ  
أَسَلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتِي إِلَّا تَبَسَّمَ».

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي، وقال: حسن غريب.

وكان من حديث علي رضي الله عنه :  
 «إِذَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمَانِ فَتَذَاكَّرَا غَفَرَ اللَّهُ لَأَبْسَهُمَا وَجَهَّأ.»

ولذلك كان من عادة الصحابة الكرام الذي كان هَدْيُ الرسول ﷺ في نفوسهم حيًّا طريًّا أن يتصافحوا إذا تلاقوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا، وفي ذلك إشاعة للمحبة الودّ بين الإخوة المتلاقين . ويروي ابن سعد في طبقاته<sup>(١)</sup> عن الشعبي قال : لما رجع رسول الله ﷺ من خَيْبَر تَلَقَّاهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَالتزمه رسول الله ﷺ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: مَا أَذْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ، بِقُدُومِ جَعْفَرٍ أَوْ بِفَتْحِ خَيْبَرٍ. وزاد في رواية أخرى : وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ.

لقد حَبَّبَ الإسلامُ إِفْشَاءَ السَّلَامِ، وَالمصافحةَ وَالمعانقةَ، عِنْدَ تلاقِي الإخوةِ، لَتَبْقَى أَسْبَابُ الْوَدِّ بَيْنَ الْقُلُوبِ مَعْقُودَةً الْأَوَاصِرِ، وَلتَزْدَادَ وَشَائِجِ الْأَخُوَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَابَةً وَقُوَّةً، وَبِذَلِكَ يَسْتَطِيعُ الْمُجْتَمَعُ الْمُسْلِمُ أَنْ يَعِيشَ إِسْلَامَهُ، وَيَنْهَضَ بِتَكَالِيفِ رِسَالَتِهِ فِي الْحَيَاةِ.

يَنْصَحُ لَهُمْ :

والمسلم الصادق ناصحُ الله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال :  
 «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا : لِمَنْ؟ قَالَ : «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»، فَلَاعْجَابٍ أَنْ يَكُونَ نَاصِحًا لِإِخْوَانِهِ، لَا يَخْدَعُهُمْ وَلَا يَغْتَبُهُمْ.

والنصيحة في حَسِّ المسلم المرهف من أمهات قواعد الإسلام التي كان المؤمنون الأولون يبايعون رسول الله عليها، يؤكد ذلك قولُ جرير بن

عبد الله رضي الله عنه: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

ولقد رأينا في الحديث السابق أن الرسول الكريم عرّف الدين بكلمة واحدة هي «النصيحة»، دلالة على أن النصيحة مرتكزُ الدين الأصيل، وأساسه الراسخ، إذ بدونها لا يصحّ إيمان المرء، ولا يحسنُ إسلامه، وهذا مصداق قول الرسول الكريم:

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>. ولا يمكن أن يحب له ما يحب لنفسه إلا إذا كان له محبباً نصحاً.

لا جرم أنه مرتقى صعبٌ عسيرُ المنال أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، ولكنه ليس بالمستحيل إذا استقرّ في حسّ هذا الإنسان أن حبه لأخيه ما يحب لنفسه شرط من شروط الإيمان، وأن الدين النصيحة، بل إنه ليغدو شيئاً طبعياً في تصرفات المسلم الحق الصادق الذي خالط قلبه بشاشة الإسلام، وتاريخنا في القديم والحديث مليء بالشواهد على حب المسلمين الصادقين لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم. ويحضرني في هذا المقام ما يتناقله شيوخ الجيل السابق من الأحياء عن التجار في بلاد الشام، ممّن تجمعهم سوق واحدة، كسوق العطارين، وسوق الصّبّاعين، وسوق الخياطين، وغيرها من الأسواق المسقوفة القديمة، كان أحدهم إذا سبق إليه مشترٍ، فاشترى منه بضاعة، ثم جاءه مشترٍ ثانٍ، وكان جاره لم يستفتح نهاره ببيع بعد، قال له بلطف: اذهب واشترِ ما يلزمك من جاري، فإنني قد بعته، وهو لم يبيع بعد.

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

يا لَئِلهُ! كم تبدو الحياةُ بهيجَةً شائقةً ممتعةً في ظلال هذا الإخاء وهذا التعاطف! وكم يبدو الأحياءُ سعداءَ حين تسري فيهم روح الإسلام، وتسودُ في معاملاتهم قِيَمُهُ! إنهم حينئذ يعيشون في سموٍّ ما وصل إليه الإنسانُ إلّا حين استظلَّ بهذا الدين الذي علّمه أن «الدين: النصيحة»، وأنه لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

من هذا المنطلق السامي الرفيع من المحبة والنصيحة، كان الصحابي الجليلُ أبو هريرة رضي الله عنه يقول:

«المُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ، إِذَا رَأَى فِيهِ عَيْبًا أَصْلَحَهُ»<sup>(١)</sup>.

وأبو هريرة في حديثه هذا يقتبس من هَدْيِ الرسول الكريم القائل:

«المُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكْفُ عَلَيْهِ ضَبْعَتَهُ»<sup>(٢)</sup> وَيَحْوِطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»<sup>(٣)</sup>.

إنها طبيعة الأشياء أن يقف المسلم الحق الصادق من أخيه المسلم هذا الموقف السامي النبيل، ولو أراد أن يقف منه غير هذا الموقف لما استطاع، إذ ما كان لمن يعيش في ذلك الأفقِ العاليِ الوضيء أن يهبط في مواقفه إلى مستوى الفردية والأنانية والمنفعة الخاصة؛ فكل إناء بالذي فيه ينضح، والزهر لا ينفخ إلّا الشَّدَا، والأرض الطيبة لا تُخْرِجُ إلّا النبات الطيب، وللَّهِ دَرُّ الشاعِرِ<sup>(٤)</sup> إذ يقول:

وَهَلْ يُنْبِتُ الحَطَاطِيَّ إلّا وَشِيجُهُ      وَتُغْرَسُ إلّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) أي يمنع ضياعه وهلاكه ويتكفله.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٤) هو زهير بن أبي سلمى.

## مَطْبُوعٌ عَلَى الْبِرِّ وَالْوَفَاءِ :

إن الإسلام ليطيع أبناءه على الوفاء وبرّ الأصدقاء، حتى يشمل بذلك أصدقاء الوالد، كما تقدم في كلامنا على «المسلم مع والديه»، وذلك تقديراً منه لفضيلة الوفاء، وإعظماً لعروة الأخوة والصدّاقة، وكتب التراث تفيض بنماذج رائعة من البرّ والوفاء، تمثلها السلف في حياتهم، فكانوا في أخلاقهم بحق خير أمة أخرجت للناس.

من هذا ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصَلَ الرَّجُلُ وَدَّ أَبِيهِ».

وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير، فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان ودّاً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صَلَّةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ»<sup>(١)</sup>.

لقد كان رسول الله ﷺ يتعهد قلوب المسلمين فيغرس فيها غرسات الوفاء، كلما وجد مناسبة يُسمِعُهُمْ فيها شيئاً من هديّته وتوجيهه، فقد جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلّة عليهما»<sup>(٢)</sup>، والاستغفار لهما، وإنفاذ

(١) رواه مسلم.

(٢) أي الدعاء لهما.

عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَّةَ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوَصَّلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامَ صَدِيقِهِمَا»<sup>(١)</sup>.

وكان حرص الرسول الكريم على هذا الوفاء للصدقة مما يَغِيظُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ كَانَ يَشْمَلُ بِرَّ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ، فَتَغَارَتْ مِنْهَا. وَهَذَا مَا حَدَّثَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ، فَقَالَتْ: «مَا غَرِزْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرِزْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ، وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرَبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَغْضَاءً، ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرَبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ! فَيَقُولُ: «إِنِّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «وَإِنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاةَ، فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا مِنْهَا مَا يَسْعُهُنَّ».

إنه الوفاء الإسلامي الذي ما بعده وفاء، يمتد فيشمل ببره ونداه الأصدقاء الأبعدين للأباء والزوجات الأموات، فكيف بالأصدقاء الأقربين لنا نحن معشر الأحياء؟!

ومن مقتضيات المحبة والنصح والبر والوفاء في شريعة الإسلام أن ينصر الرجل أخاه في جميع الأحوال، ينصره إن كان على الحق، فيقف بجانبه، يؤازره ويدود عنه، وينصره إن كان على غير الحق، فينهاه، وينصحه، ويزجره على الارتكاس في حماة الباطل، والتردي في مستنقعات الظلم. وهذا ما دعا إليه الرسول الكريم في قوله:

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

(٢) متفق عليه.

«لِيَنْصُرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا؛ إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْتَهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»<sup>(١)</sup>.

إن المسلم الحق لا يتخلى عن أخيه ظالماً كان أو مظلوماً؛ ذلك أن الإسلام علمه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وما دام لا يحب لنفسه أن يكون ظالماً أو مظلوماً، فهو لا يحب ذلك لأخيه أيضاً، ولذلك فهو يقف إلى جانبه إن كان مظلوماً فينصره ويدفع عنه، ويقف إلى جانبه يكفّه عن الظلم إن كان ظالماً، ولعمري إن هذه هي النصيحة الخالصة، وإن هذا هو البر الصادق، وإنهما لخليقتان يتصف بهما المسلم الحق البرّ الوفيّ الذي صاغه الإسلام، أيان عاش، وحيثما كان.

رَفِيقٌ بِإِخْوَانِهِ:

والمسلم الحق المتمثل أحكام دينه وقيمه لطيف المعشر مع إخوانه، رفيق بهم، آلف لهم، مألوف لديهم، وهو في ذلك كله يستقي من توجيهات الإسلام التي تحض على مكارم الأخلاق.

فالله تبارك وتعالى يصف المؤمنين بقوله: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَافٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>. وفي ذلك من اللين والتواضع وحسن التعامل مع الأخوة المؤمنين ما يصل إلى درجة متناهية في اللطف، هي أشبه بالدلّة.

ويأتي بعد ذلك التوجيه النبويّ العالي في تحبيب الرفق إلى المسلم تحبباً يجعله زينة كل شيء في الحياة، وذلك في قول الرسول الكريم.

«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَةً، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه مسلم.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) رواه مسلم.

وتتجلى لعين المسلم شخصية الرسول الكريم في سيرته، فإذا هي كلها رفقٌ ودُمَانَةٌ وكرمٌ وخلقٌ، لم يُعرَف عنه يوماً أنه أفحش في لفظ، ولا لعن أو سبَّ مسلماً، وها هوذا أنس رضي الله عنه خادمه ومُلازمه يصف خُلُقَه العَظِيمَ، فيقول:

«لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشاً وَلَا لَعَاناً وَلَا سَبَاباً، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ» (١) (٢).

لَا يَغْتَابُهُمْ:

والمسلم الحق الصادق يحفظ غَيْبَةَ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، فلا يَغْتَابُهُمْ؛ لأنه يعلم أن الغَيْبَةَ حَرَامٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧) (٣).

إن نفس المسلم المرهفة المتأدبة بأدب الإسلام، المرشفة من رحيق أخلاقه، لتتشعر من هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم للمغتتاب، يأكل لحم أخيه مَيْتاً، بكلمات يتفوه بها عنه في غيابه، فإذا هو يسارع إلى التقوى التي ذيل الله بها آية الغيبة، ويلوذ بالتوبة النصوح منها إن تورط فيها، ويُنْسِكُ عليه لسانه، فلا يطلقه على إخوانه إلا بخير، ذاكراً قول الرسول الكريم:

«أَتَذَرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أفرأيتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أقولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تقولُ فَقَدْ

(١) قيل في تفسير هذه العبارة: أراد النبي ﷺ بها دعاء له بكثرة السجود، ففي ذلك هداية له وإصلاح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) الحجرات: ١٢.

اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتَهُ»<sup>(١)</sup>.

إن المسلم التقى يجتنب الغيبة الظاهرة والخفية، حرصاً منه على ألا يكون آكلًا لحم أخيه بحال، وتزيتهاً للسان أن يكبه في النار، كما جاء في تحذير النبي ﷺ لمعاذ حين أخذ بلسانه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فقال معاذ: يا نبي الله، وإنا لَمُؤَاخِدُونَ بما نتكلمُ به؟ فقال النبي ﷺ «تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ، وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاحِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»<sup>(٢)</sup>.

إن الغيبة خلق ذميم، لا يتصف به الرجال، وإنما يتصف به أشباه الرجال الجبناء من ذوي الوجهين الذين يغتابون إخوانهم وأصدقاءهم أمام الناس، فإذا لقوهم هَشُّوا لهم وَيَشُّوا وتظاهروا بالصدقة والود، ومن هنا كان المسلم الحق أبعد الناس عن الغيبة والتلون بلونين، لأن الإسلام علمه الرجولة، ولقنه الاستقامة، وحبَّب إليه التقوى في القول والعمل، وكره إليه النفاق والتلون والتذبذب، بل نقره من هذه الخصال تنفيراً، حين جعل ذا الوجهين من شرار الناس عند الله، وذلك في قول الرسول ﷺ:

«تَجِدُ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءٍ بِوَجْهِهِ، وَهُوَ لَاءٍ بِوَجْهِهِ»<sup>(٣)</sup>.

إن للمسلم الحق وجهاً واحداً، لا وجهين، وإنه لَوْجَةٌ أَعْرُ أْبْلَجُ مشرقٌ واضحٌ، لا يلقى به قوماً دون قوم، بل يلقى به الناس جميعاً، لأنه يعلم أن اتخاذ الوجهين هو النفاق بعينه، والإسلام والنفاق لا يجتمعان، وأن ذا الوجهين منافق، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار.

(١) رواه مسلم.

(٢) حديث حسن صحيح، رواه ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

يَجْتَنِبُ مَعَهُمُ الْجَدَلَ وَالْمُزَاحَ الْمُؤْذِيَّ وَالْإِخْلَافَ بِالْوَعْدِ:

ومن خلائق المسلم الحق أنه لا يعنت إخوانه وأصدقائه بالجدل العقيم، ولا يثقل عليهم بالمُزاح المؤذي، ولا يُخلفهم موعداً وعدّهم إياه، مستهدياً في ذلك كلّ بهذي الرسول الكريم القائل:

«لَا تُمَارِ أَخَاكَ<sup>(١)</sup>، وَلَا تُمَارِخُهُ<sup>(٢)</sup>، وَلَا تَعِدُهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفُهُ»<sup>(٣)</sup>.

ذلك أن المِرَاءَ لا يأتي بخير، والمُزاح المؤذي كثيراً ما يؤول إلى النفور والكراهية وسقوط المهابة، والإخلاف بالوعد يكدر النفس وينزع المحبة من القلب. والمسلم الصادق بعيدٌ عن هذا كله.

كَرِيمٌ يُؤَثِّرُ إِخْوَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ:

والمسلم الحق كريم جواد، يده مبسوطة سحاءً على إخوانه وأصدقائه، وبدهيٍّ أن إخوانه وأصدقائه كافة من المؤمنين الأتقياء، كما قال رسول الله ﷺ:

«لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا»<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا كان المسلم الواعي بصيراً بمواطن الكرم ومناسباته ودواعيه؛ فهو لا يصدق أمواله بسخاء، ولا يحتفي إلا بإخوانه وأصدقائه المؤمنين الأتقياء، ولا يرضى أن يكون بقرةً حلوباً لِسِفْلَةِ القوم من الملحدين الطغام اتقاء شرهم، أو تألفاً لهم إن كانوا من أصحاب النفوذ، الذين لا يتورعون عن استغلال بعض المتديّنين السدّج الأجواد، فتراهم مصطفين على موائدهم

(١) أي لا تجادله مخاصماً.

(٢) أي لا تفرط في المزاح.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٤) رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن.

السخية، وإنهم ليضحكون في قرارة نفوسهم من ذلك الكرم الساذج الذي وضعه صاحبه في غير محله.

إن المسلم الواعي كريم، وكرمه في محله؛ ذلك أن الكرم خلق إسلامي أصيل، يجمل صاحبه، ويسمو به، ويحبب الناس فيه، ويؤذيهم منه. وقد كان هذا الخلق العظيم متصلاً في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، وكان الاتصاف به من أحب الأعمال الصالحة إليهم، يصور ذلك قول علي رضي الله عنه:

لَأَنْ أَجْمَعَ نَفْرًا مِنْ إِخْوَانِي عَلَى صَاعٍ أَوْ صَاعَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ إِلَى سَوْقِكُمْ فَأُعْتِقَ رَقَبَةً<sup>(١)</sup>.

ذلك أن مثل هذه اللقاءات الودية على الطعام، توّطد أو اصر المحبة بين الإخوان الأصدقاء، وتقوي روح التعاطف فيهم، وتشيع في حياتهم ندى العاطفة الإنسانية الذي افتقده إنسان الحضارة المادية الحديثة، بعد أن أصبح لا يهتم إلا بنفسه ومصالحته، فإذا هو يعاني خواءً روحياً وجفافاً عاطفياً، نتج عنهما شعور عميق بالحرمان من الصداقة والأصدقاء المخلصين. وما حفاوته باقتناء الكلاب، وإقباله على تدليلها والعناية بها، إلا تعويض عما فقد من ربي العاطفة الإنسانية الذي جففته في نفسه الفلسفة المادية التي اتخذها ديناً له، وإطاراً يتحرك ضمنه في متقلبه ومثواه؛ فقد جاء في تقرير فرنسي أن هناك سبعة ملايين من الكلاب في فرنسا التي يبلغ عدد سكانها اثنين وخمسين مليون نسمة، وتعيش هذه الكلاب مع أصحابها كأنها من أقاربهم. ولم يعد غريباً في مطاعم باريس أن تشاهد الكلب وصاحبه يتناولان طعامهما على مائدة واحدة. وحين سئل مسؤول في جمعية رعاية الحيوان بباريس: «لماذا

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

يعامل الفرنسيون كلابهم مثل ما يعاملون به أنفسهم» أجاب: «لأنهم يريدون أن يحبوا، ولكنهم لا يعثرون بين الناس على مَنْ يحبونه»<sup>(١)</sup>.

إن الإنسان الماديّ في الغرب أو في الشرق لم يعد يجد الإنسان الصديقَ الوفيّ الودود في مجتمعه، ليمنحه حبه وعاطفته، فاتجه إلى هذه الحيوانات التي وجد فيها من الألفة والوفاء أكثر مما وجد في الناس الذين حوله. فهل بعد هذا من ارتكاس عاطفي يهوي بالإنسان، فيجعلهُ أليفَ الحيوان، بعد فقدِه إشرقة الهدى ونعمة الإيمان؟

ولقد كان هذا الارتكاسُ العاطفي الذي مُنِيَ به إنسان الغرب، فجفّف يَنابيحَ الشعور الإنساني في نفسه، أولَ ما لفت أنظار أدباء المهجر من مسلمين وغير مسلمين؛ ذلك أنهم نظروا إلى الحياة الغربية المادية التي جرفت الإنسان في مجتمعات الغرب، فجعلته كالآلة، لا يعرف من الحياة إلا الكدّ والإنتاج والتسابقَ العنيفَ على الكسب، لا يَهشُّ قلبُهُ لصديق، ولا يفتَرُّ ثغرُهُ عن ابتسامة حب لرفيق، وإنما هو ذاهل مأخوذ بالسرعة والآلة والازدحام، فهالهم ذلك كُله، وهم الذين نشأوا في ديار الإسلام، وتنفسوا في أجواء روحانيته السمحة، وأثَرَعَتْ نفوسُهُم بحب الإنسان لأخيه الإنسان، فانطلقوا يدعون الغربيين بحرارة إلى الحب والتآخي والتعارف. فهذا نسيب عريضة يحمل لواء هذه الدعوة الإنسانية، فينادي الإنسانَ الغربيَّ الذي رانت على قلبه المادة، وأعشّت بصره أضواء الحضارة، وأصمّ أذنيه ضجيجُ الآلة، قائلاً له:

يا بِن وَدِّي، يا صاحبي يا رَفِيقِي لیس حُبِّي تَطْفُلًا أو ثَقَالَةً

(١) من مقال للأستاذ وحيد الدين خان بعنوان (وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان)، نشره في مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٣٢٥، في ٢٤ ذو القعدة ١٣٩٦هـ = ١٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٦م.

فأجِئني «يا أخي» يا صديقي  
 وإذا شئت أن تسيروا وحيداً  
 فإنصُر، لكننا سَنَسْمَعُ صَوْتِي  
 وَسَيَأْتِيكَ أَيْنَ كُنْتَ صَدَى حُبِّي  
 وأعد، إنَّها أَلَدُ مَقَالَةٍ  
 وإذا ما اغتَرَّتْكَ مِنِّي مَلَالَةٌ  
 صارِخاً: «يا أخي» يُؤدِّي الرُّسَالَةَ  
 فَتَذْرِي جَمَالَهٗ وَجَلَالَهٗ

وتشتد في تلك الديار وطأة الحياة المادية على يوسف أسعد غانم، فيسأم هذه الحياة المثقلة بالأعباء، الغارقة في لجة التيار المادي الجاف العنيف، لا ترف عليها نسمة ندية من روحانية أو تآخ أو تعاطف، فتتفجر في نفسه ينابيع الشوق والحنين إلى الأرض العربية في ديار الإسلام، حيث مهبط النبوات، ومصدر الروحانيات، وموطن الحب والتآخي والصفاء، وإذا هو يتمنى أن يعيش في خيمة عربية، ويترك دنيا الحضارة وما فيها من صخب وضجيج وأضواء، فيقول:

«ولو تبخر عُمرِي كُلُّه قصيراً في أي صعيد عربي، لَحَمِدْتُ اللّٰهَ على حياة قصيرة عريضة في دنيا يقيم اللّٰهُ في قلوب أبنائها... لقد تعبت في الغرب حتى ملّني التعب، خذوا السيارة والطيارة، وأعطوني جملاً وحصاناً، خذوا الدنيا الغربية، أرضاً وبحراً وسماءً، وأعطوني خيمة عربية أنصبها على إحدى روابي وطني لبنان، على ضفاف بردى، على شواطئ الرافدين، في أرباض عمّان، في الصحراء السعودية، في مجاهل اليمن، في سفح الأهرام، في واحات ليبيا، أعطوني خيمة عربية لأضعها في كفة، وأضع الدنيا في كفة، وأنا الرابع...».

والنصوص التي تعزف هذه النغمة كثيرة جداً في أدب المهجر، أكتفي منها بهذين النَّصَّيْنِ، وكلُّها تصوّر ظمأ المهاجرين إلى الرُّبِّيِّ العاطفي الذي افتقدوه في عالم الغرب المادي، ففجّر فقدّه في نفوسهم ينابيع الشوق والحنين

إلى الشرق الذي أشاع الإسلام فيه المحبة والأخوة والتعاطف والتكافل . . .

وكما حَبَّبَ الإسلامُ في لقاءات الإخوة، وَنَدَبَهُمْ إلى التنافس في الكرم والبذل والسخاء فيما يُوثَّقُ عروة الأخوة بينهم، حتى أصبح الجودُ والإنفاقُ على الإخوة خُلُقًا أصيلاً فيهم، جعل قَبُولَ دعوة الأخ المسلم من أخيه واجباً عليه، لا ينبغي التقصيرُ فيه . وكان الصحابة رضوان الله عليهم يلبّون داعي الأخوة، ويجيبون أخاهم إذا دعاهم، بل يرون إجابته حقاً له واجباً عليهم، يأثمون إن هم قَصَرُوا في أدائه، يشهد لذلك الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد عن زياد بن أنعم الإفريقي، قال: «كُنَّا غَزَاةً فِي الْبَحْرِ زَمَنَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَانضَمَّ مَرْكَبُنَا إِلَى مَرْكَبِ أَبِي أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا حَضَرَ غَدَاؤُنَا أُرْسِلْنَا إِلَيْهِ، فَأَتَانَا، فَقَالَ: دَعَوْتُمُونِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بَدٌّ مِنْ أَنْ أَجِيبَكُمْ، لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ سِتًّا خِصَالًا وَاجِبَةً، إِنْ تَرَكَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ حَقًّا وَاجِبًا لِأَخِيهِ عَلَيْهِ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُوذُهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَحْضُرُهُ إِذَا مَاتَ، وَيَنْصَحُهُ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ».

بل إنهم ليرون في إباء المسلم دعوة أخيه من غير عذر معصية الله ولرسوله، نصَّ على ذلك رسول الله ﷺ بقوله:

«شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَالِيَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>.

إن أخوة الإيمان ليست شعارات تُرْفَعُ، ولا تبجحاً يُقْصَدُ به الإعلان والدعاية، وإنما هي رابطة مقدسة لها التزاماتها وتكاليفها وحقوقها، يعرف هذا

(١) رواه مسلم.

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَتَمَثَّلَ حَقَائِقَ الْإِسْلَامِ حَقَّ التَّمَثُّلِ، وَإِنَّا لنجد أثر هذا الإيمان وثمره هذا التمثُّل في صنيع الأنصار الذين ضربوا المثل الأعلى في الحب والإيثار لإخوانهم المهاجرين حين قدموا عليهم مهاجرين بدينهم، لا يملكون شيئاً، فقدم لهم الأنصار كل شيء، حتى كان أحدهم يقول لأخيه: هذا مالي فخذْ شطره، وهاتان زوجتاي، فانظر أعجبهما إليك فسَمِّها لي أطلقها لتكون زوجة لك بعد انقضاء عدتها، وكان الأخ المهاجر يقابل عاطفة أخيه الأنصاري بأحسن منها، فيقول له: بارك الله لك في مالك وأهلك، ما شيء من هذا في نفسي حاجة، ولكن دلوني على السوق لأعمل.

وكان الأنصاري يستضيف أخاه من المهاجرين، وليس في بيته من الزاد إلا قوتُ صبيانه، فيؤثره على نفسه وعياله، قائلاً لزوجته: نومي صبيانك، وأطفني السراج، وقدمي ما عندك للضيف، ونجلس معه إلى المائدة، نوهمه أننا نأكل معه، ولا نأكل. ويجلسون إلى المائدة، ويأكل الضيف وحده، ويبيت الزوجان طاويتين، ويغدو الأنصاري على النبي ﷺ، فيقول له: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ»<sup>(١)</sup>.

ويبلغ من إيثار الأنصار للمهاجرين ومواساتهم لهم بأموالهم أنهم قالوا للنبي ﷺ: إقسّم بيننا وبين إخواننا التخيّل، قال: لا، فقالوا: تكفوننا المؤونة<sup>(٢)</sup>، ونشرِكُكم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا<sup>(٣)</sup>.

وقد أكبر المهاجرون صنيع إخوانهم من الأنصار، فقالوا للنبي ﷺ: «يا رسولَ اللهِ، ما رأينا مثل قومٍ قدّمنا عليهم أحسنَ مواساةٍ في قليل، ولا أحسنَ

(١) متفق عليه.

(٢) أي تساعدوننا في زراعة البساتين.

(٣) رواه البخاري.

بِذَلَا مِنْ كَثِيرٍ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَوَّنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَةِ<sup>(١)</sup>، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: لَا، مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ، وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

وَحَسْبُ الْأَنْصَارِ ثَنَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَتَنْوِيهُهُ بِحَسَنِ صَنِيعِهِمْ، إِذْ أَنْزَلَ فِيهِمْ قِرَاءَانًا يُتْلَى، فِيحْكِي قِصَّةَ إِثَارِهِمُ الْفَرِيدِ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ، وَيُخَلِّدُهُمْ نَمَاذِجَ وَاقِعِيَّةٍ حَيَّةٍ رَفِيعَةً لِلتَّحَرَّرِ مِنْ شَحِّ النُّفُوسِ:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وستبقى صورة الأنصار الوضيئة في القرآن الكريم منارة هداية وإشعاع للإنسانية الضاربة في تيه المطامع والآثرة والشح والإمساك، ما أقبل ليلٌ وأدبر نهارٌ، ودُعِيَ الناسُ للبلذ والسخاء والإيثار.

لقد أدرك الأنصار رضوان الله عليهم ما تعنيه أخوة الإيمان، حين آخى الرسول ﷺ بينهم وبين المهاجرين، فكانوا مؤمنين حقاً، أحبوا لإخوانهم ما أحبوا لأنفسهم، كما سمعوا من رسول الله ﷺ، فلم يُمسِكوا عنهم شيئاً من حطام الدنيا، بل نزلوا عن شطر ما يملكون لإخوانهم طائعين مختارين، طيبةً بذلك نفوسهم، راضيةً قلوبهم، وكانوا في أول الهجرة يورثون المهاجرين دون أرحامهم، ليقوموا بحق الأخوة التي رفع لواءها فيهم رسول الله ﷺ، يشهد لذلك الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس، قال: «كَانَ الْمُهَاجِرُونَ لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَرِثُ الْمُهَاجِرِيُّ الْأَنْصَارِيَّ دُونَ رَجْمِهِ لِلْأَخْوَةِ

(١) أي الهنيء الذي يأتيك بلا مشقة.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وإسناده صحيح.

(٣) الحشر: ٩.

التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض»، نُسخ الميراث وبقي النصر والإرفاد والإيثار والمواساة.

يَدْعُو لِإِخْوَانِهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ:

والمسلم الحق الصادق الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، لا يفوته في ساعات الصفاء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب، دعوة غائب لغائب، تتجلى فيها خفة القلب المحبِّ الصّدوق، ورقة الروح الشفافة الحانية؛ ففي دعائه له بالخير تأكيدٌ لمحبتّه إيّاه، وتوثيقٌ لعروة الأخوة النقيّة في قلبه، وإنه ليعلم أن هذه الدعوة الحارّة أسرع الدعوات إجابة، لما تميّزت به من إخلاص وصدق وصفاء، يؤكد ذلك قولُ الرسول الكريم:

«أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةٌ دُعَاءِ غَائِبٍ لِغَائِبٍ»<sup>(١)</sup>.

ولهذا طلب الرسول الكريم من عمر رضي الله عنه حين جاءه يستأذنه في العمرة أن يدعو له؛ فعن عمر رضي الله عنه قال: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ، وَقَالَ: «لَا تَسْئَلُنِي يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

وقد وقّر هذا المعنى في نفوس الصحابة الكرام، فكانوا يطلبون الدعاء من إخوانهم كلّما وقفوا موقفاً يُستجاب فيه الدعاء، يستوي في ذلك الرجال والنساء، مما يدلّ على ارتفاع مستوى المجتمع كله في تلك الفترة الوضيئة من تاريخنا؛ فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن صفوان بن عبد الله بن صفوان، وكانت تحته الدّرداء بنت أبي الدّرداء، قال: قَدِمْتُ عَلَيْهِمُ الشَّامَ، فوجدتُ أمّ الدّرداء، في البيت، ولم أجد أبا الدّرداء، قَالَتْ: أتريدُ الحجَّ؟

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ دَعْوَةَ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلِ». قَالَ: فَلَقِيتُ أبا الدَّرْدَاءِ فِي السُّوقِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، يَأْتُرُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

لقد كان الرسول الكريم يربّي في أصحابه الروح الجماعية، ويشيع بينهم شعور الغيرية، فيُلْقِنُهُمْ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ إِلَى الْإِحْسَاسِ بِمَعْنَى الْأَخَوَةِ الشَّامِلَةِ، بِحَيْثُ لَا يَبْقَى فِي حَسْرِ الْأَخِ الْمُسْلِمِ مَجَالٌ لِلْأَنَانِيَةِ الضَّيْقَةِ الْفَرْدِيَّةِ، الَّتِي تُغْشِي الْأَبْصَارَ، وَتُخْتَمُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَتُضْدِيءُ النُّفُوسَ.

ومن لفتاته التربوية الرائعة التي توصل في النفس روح الأخوة الجماعية، وتقتلع بذور الأنانية الفردية، ما قاله لرجل هتف داعياً: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَحَدَنَّا، قَالَ لَهُ: «لَقَدْ حَجَبْتَهَا عَنْ نَاسٍ كَثِيرِينَ»<sup>(١)</sup> فَعَلِمَهُ بِذَلِكَ أَنَّ رُوحَ الْإِسْلَامِ تَأْبَى عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِالْخَيْرِ وَحْدَهُ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي أَنْ يَحِبَّ لِأَخِيهِ دَوْمًا مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ.

وبعد، فهذا هو المسلم الحق، مُحِبٌّ لِأَخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، مُخْلِصٌ، نَاصِحٌ لَهُمْ، أَمِينٌ عَلَى سَمْعَتِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فِي حَضُورِهِمْ وَغَيْبَتِهِمْ، مُؤَثِّرٌ لَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، مُتَسَامِحٌ عَفْوٌ غَفُورٌ لِرِزَالَتِهِمْ، وَهُوَ مَعَهُمْ لَطِيفٌ الْعَشْرَةَ، مُوَطِّئٌ الْكَنَفَ، حَسَنُ اللَّقَاءِ، نَقِيٌّ السَّرِيرَةِ، نَظِيفٌ الْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، جَوَادٌّ لَا يَبْخُلُ، صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ، وَدَوْدٌ لَا يَجْفُو، وَفِيَّ لَا يَخُونُ، شَهْمٌ لَا يَغْدِرُ، مُسْتَقِيمٌ لَا يَتَلَوَّنُ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَذَا كُلِّهِ، إِنَّهُ مَعْجَزَةُ الْإِسْلَامِ، فِي صَوْغِ الْإِنْسَانِ، إِنَّهُ الْمُسْلِمُ كَمَا يَرِيدُهُ الْإِسْلَامُ.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد.